﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ٢٨﴾

[الأحزاب: 28]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

مطالبةُ الزَّوجات نبيَّ الله بتوسعة الحال وزيادة النَّفقات

لمّا نصر الله نبيَّهُ، وفرَّقَ عنه الأحزاب، وفتح عليه قريظةَ والنَّضيرَ؛ ظنَّ أزواجه أنَّه اختصَّ بنفائس اليهودِ وذخائرهم، فطالبْنَ النبيَّ ﷺ بتوسعة الحال والزّيادة في الكسوة والنَّفقة، فأمره الله أن يَتلوَ عليهنَّ ما نزل في أمرهنَّ[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَزِينَتَهَا﴾: (زين) أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على حسن الشَّيءِ وتحسينه، فالزَّيْن نقيضُ الشَّيْن، يُقال: زيَّنتُ الشَّيءَ تزيينًا، وأزينتُ الأرضَ وازَّيَنت وازدانت؛ إذا حَسَّنَها عُشْبُها، والزّينة اسمٌ جامعٌ لكلِّ شَيْءٍ يُتَزيَّن بِهِ [2]، ومعناها في الآية: زخارف الدُّنيا ونضارتها ورفاهيَّتها[3].

2) ﴿فَتَعَالَيۡنَ﴾: (علو) أصله من العُلوّ، وهو السُّموُّ والارتفاع في المنزل والمنزلة، فكأنَّه دعاء ونداء إلى ما فيه رفعة، أو مِن التَّعالي، وهو السُّموُّ والعلوُّ بالارتفاع من موضع هابطٍ إلى مكان عالٍ[4]، ثمَّ كثُر استعمالُهُ حتّى صار دالًّا على طلب التَّوجُّه إلى حيث يُدعى إليه، وإن لم يكن انتقالًا من مكان إلى مكان، فمعناه: هلُمَّ بالرَّأي

(1) أبو حيان، البحر المحيط: 8/ 471.
(2) الأزهريّ، التّهذيب: (زين)، وابن فارس، مقاييس اللّغة: (زين).
(3) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 22/ 480.
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (علو)، والرّاغب، المفردات: (علو).

والعزيمة[1]، ومعنى ﴿فَتَعَالَيْنَ﴾ في الآية: أقبِلن واقبَلنَ بإرادتكنَّ واختياركنَّ لأحد الأمرين[2].

3) ﴿أُمَتِّعْكُنَّ﴾: (متع) أصلٌ يدلُّ على مَنْفَعَةٍ وامْتِدادِ مُدَّةٍ في خير، ومنه استمتعتُ بالشَّيء، والمُتْعَةُ والمَتاعُ: المنفعة، وكلُّ موضع ذُكِرَ فيه (تمتَّعوا) في الدُّنيا؛ فعلى طريق التَّهديد، وذلك لما فيه من معنى التَّوسُّع، والمَتاعُ والمُتْعَةُ: ما يُعطى للمطلَّقة؛ لتنتفع به مدَّة عدَّتها، يقال: أمْتَعْتُها ومَتَّعْتُها، والقرآن ورد بالثاني نحو: ﴿فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ﴾ [الأحزاب: 49][3]، والمتعة في الشَّرع: دِرع وخِمار ومِلحَفَة على حسب السَّعة والإقتار[4].

4) ﴿وَأُسَرِّحْكُنَّ﴾: (سرح) أصلٌ واحد، وهو يدلُّ على الانطلاق، وسَرَّحْتُ الإبل، أصله: أن تُرعيَهُ السَّرْحَ، ثمَّ جعل لكلِّ إرسال في الرَّعي، والسّارِحُ: الرّاعي، والتَّسْريحُ في الطَّلاق مستعار من تَسْريحِ الإبل، كالطَّلاق في كونه مستعارًا من إطلاق الإبل، يقال: سرَّحت المرأة، وفي كتاب الله تعالى: ﴿أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ [البقرة: 231]، ومعناه في الآية: أُطلِّقْكن، وأعطِكنَّ متعة الطلاق[5].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

تخيير أزواجِ النَّبيِّ بين متاع الدُّنيا الزائلة وثواب الآخرة

يأمرُ الله سبحانه نبيَّه الكريم ﷺ أن يقول لأزواجه اللّاتي اجتمعن عليه يطلبن منه زيادة النَّفقة: إن كنتُنَّ ترِدْنَ الحياة الدُّنيا وزينتها؛ فأقبِلْنَ أمتعْكنَّ شيئًا مِمّا عندي من الدُّنيا، وأفارقكنَّ دون ضرر أو إيذاء[6].

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 08/ 252، والطّيبيّ، فتوح الغيب: 4/ 128.
(2) الزّمخشريّ، الكشّاف: 3/ 535.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (متع)، والرّاغب، المفردات: (متع).
(4) الزمخشريّ، الكشّاف: 3/ 535.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 316، والآلوسي، روح المعاني: 11/ 177.
(6) نخبة مِنَ العلماء، التّفسير الميسر، ص: 421.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

بلاغةُ الاستفتاح بالنِّداء في الآية:

تنبيهُ السّامع إلى ما سيُلقى إليه من الكلام

استفتح قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ بأسلوب النِّداء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا﴾، والغرض منه تنبيهُ السّامع؛ لإيقاظ ذهنه واستحضار قلبه، فإنَّ الحكيم عمومًا إذا خاطب من يكون محلَّ الغفلة أو مشغول البال؛ يُقَدِّمُ على الكلام المقصود شيئًا؛ ليلتفت المخاطَب بسببه إليه، ويُقبِلَ بقلبه عليه؛ بسبب ذلك المقَدَّم كالنِّداء وحروف الاستفتاح وغيرها؛ تنبيهًا له على أنَّ ما سيُلقى إليه أمرٌ مُهِمٌّ[1].

سرُّ النِّداء بـ(يا) التي لنداء البعيد:

تنزيل القريب منزلة البعيد لأهمية ما يأتي بعد النداء

حين ترى خطرًا يحدق بمن أمامك في أمر دنيويٍّ، فإنَّك تناديه مباشرة بصوت مرتفع، وتقول له: يا فلان انتبه، ستسقط في حفرة مثلًا، فما بالك إذا كان الخطر في الدّين، ومِن أحبِّ الناسِ إليك (أزواجك)؟ لذا نادى الله نبيَّه ﷺ: يا أيُّها المعظَّم عندنا المقرَّب منّا، أبعدْ عنك ما يضرُّك في دينك، وافعل ما نأمرك به ﴿قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ﴾.

بلاغةُ مجيءِ (أي) بعد حرف النداء:

المبالغةُ في جذب انتباه السّامع

حين تقول (يا) يظنُّ كلُّ سامع أنَّك ستناديه، فإذا قلت: أي؛ ازداد طمع الكلِّ في ذلك، فاشرأبَّت الأعناق، وخشعت الأصوات، وأنصتت الآذان، لتعلمَ مَنِ المنادى، حتى يخلص المتكلِّم إلى لفظ يحدِّد المنادى.

سرُّ مجيء (ها) المنبّهة بعد (أي):

المبالغة في التَّنبيه

جاءت (يا) للنداء، ثم تلتها (أي) المبهمة، ثم (ها) المنبِّهة؛ ليصل المتكلم بعد ذلك إلى المنادى، وكلُّ ذلك للمبالغة والتَّأكيد، على خطر ما يقال للمنادى، بحشد جملة من ألفاظ الإبهام والتَّنبيه،

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 25/ 23.

فإذا خلص إلى المنادى؛ ناداه بلفظ يُشعر بمكانته وفضله ﴿ٱلنَّبِيُّ﴾، المرفوع عند ربِّه فوق بقيَّة خلقه، الموصول بنبأ السماء في كل وقت.

سرُّ النِّداء بوصف النُّبوَّة:

النَّبيُّ هو المرتفع فوق الخلق لتلقّيه نبأ السماء

أوثِر في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ﴾ نداءُ النَّبيِّ ﷺ بوصف النُّبوَّة دون الرِّسالة؛ لكون سياق الآية في إنباء أزواجه بأمر الله سبحانه في تخييرهن بين متاع الدُّنيا وثواب الآخرة، فالنَّبيُّ مشتقٌّ مِن النَّبأ – على قول – وهو الذي يبلغه نبأ السَّماء، ثم يُنبِئ عن الله سبحانه، فافتتاح هذه الأحكام بنداء النَّبيِّ ﷺ – بـ: يا أيُّها النَّبيُّ – تنبيهٌ على أنَّ ما سيُذكر بعد النِّداء له مزيد اختصاص به، وهو غرض تحديد سيرة أزواجه معه سيرة تناسب مرتبة النُّبوَّة[1]، أو هو مشتقٌّ من النُّبوَّةِ، وهي المكان المرتفع، أي: هو المرفوع عند ربِّه فوق بقيَّة خلقه.

دلالةُ التَّعبير بصيغة الأمر ﴿قُل﴾:

وجوبُ التَّبليغ في حقِّ النَّبيِّ ﷺ

تضمَّن قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل﴾ أمرًا للنَّبيِّ ﷺ بأن يبلِّغ عن الله كلامه لأزواجه على جهة الوجوب؛ لأنَّ شأن هذه السّيرة أن يشقَّ على غالب النّاس وخاصة النِّساء، فأمر الله رسوله ﷺ أن ينبئ أزواجه بها، ويخيِّرهن على السَّير عليها تبعًا لحاله وبين أن يفارقهن، فامتثل النَّبيُّ ﷺ أمر ربِّهِ، وخيَّر أزواجه واحدة واحدة، فاخترن الله ورسوله[2].

دلالةُ التَّعبير بقوله: ﴿لِّأَزْوَٰجِكَ﴾:

تعدُّد أزواج النَّبيِّ ﷺ

يشير التَّعبير بلفظ ﴿لِّأَزْوَٰجِكَ﴾ بصيغة الجمع، في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ﴾ إلى تعدُّد أزواج النَّبيِّ ﷺ، وقد كنَّ تسعَ نسوة: عائشة بنت أبي بكر، وحفصة بنت عمر، وأمَّ حبيبة – واسمها رملة بنت أبي سفيان – وأمَّ سلمة – واسمها هند بنت أبي

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 315.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 315.

أميَّة المخزومية - وسودة بنت زمعة العامرية، وهذه الخمسة من قريش، وأربع من غيرهم: زينب بنت جحش الأسديَّة، وميمونة بنت الحارث الهلاليَّة، وصفيَّة بنت حيي بن أخطب الخيبرية، وجويرية بنت الحارث المصطلقيَّة، وهذه كلُّها بعد وفاة خديجة ﵂ وعنهنَّ[1].

بلاغةُ التعبير بصيغة (أفعال) في جمع الأزواج:

تقليل عدد أزواج النبي ﷺ ولو اجتمع عنده تسع منهنَّ

يظنُّ كثيرٌ من النّاس أنَّ النَّبيَّ ﷺ، تزوَّج عددًا كبيرًا من النِّساء، لا حدَّ له في ذلك ولا عدَّ، والحقيقة أنَّه وإن اجتمعت عنده تسعٌ من النِّساء، فقد ضُيِّق عليه في النِّكاح، حتى صار التسعُ بالنسبة له قليلاتٍ، فالمسلم له أن يتزوَّج أربعًا، وفي كلِّ عام يطلِّق واحدة، ويتزوَّج أخرى، حتى إنَّ بعضهنَّ تزوَّجها، وهو فوق الخمسين، لكنَّ النَّبيَّ ﷺ مُنِعَ مِنَ الزَّواج بعد ذلك، ولو بتبديل امرأة بأخرى: ﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ﴾ [الأحزاب: 52]، فجاء لفظ أزواج بصيغة جمع القلَّة؛ ليدلَّ على أنَّه وإن جمع بين تسع من الأزواج؛ فهنَّ بالنِّسبة له قليلات؛ بسبب التَّضييق عليه بعدم زواج غيرهنَّ.

دلالةُ الخطاب في قوله: ﴿لِّأَزۡوَٰجِكَ﴾:

تشريفُ الأزواج بإضافتهنَّ إلى خير الخلق ﷺ

دلَّ ضمير الخطاب من ﴿لِّأَزۡوَٰجِكَ﴾ في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ﴾ على إضافة الأزواج إلى النَّبيِّ ﷺ، وفي ذلك تشريف لهنَّ؛ لقوله تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ﴾ [الأحزاب: 32]، ولـمّا خُيِّرَ رسول الله ﷺ بين مُلك الدُّنيا ونعيم الآخرة، فاختار الآخرة؛ أُمِرَ بتخيير نسائه؛ ليظهر صدق موافقتهن، فاخترن الله ورسوله[2].

(1) الهرريّ، حدائق الروح والريحان: 22/ 484.
(2) أبو حيان، البحر المحيط: 8/ 471.

سرُّ التَّعبيرِ بـ﴿لِّأَزۡوَٰجِكَ﴾ دون (نسائك):

عمومُ النِّساء في الأزواج والإماء

أوثِرَ في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ﴾ لفظُ ﴿لِّأَزۡوَٰجِكَ﴾ دون (نسائك)؛ لتخصيص هذا الحكم بالزَّوجات دون ملك اليمين، وقد ورد في سبب نزول الآية أنَّهنَّ سألن النَّبيَّ ﷺ التوسعة في النَّفقة والكسوة، فأمر الله رسوله ﷺ بتخييرهن، فدلَّ على تخصيصهنَّ دون السَّراري.

دلالةُ التَّعبير بـ﴿إِن﴾ في الآية:

تخييرُ أزواج النَّبيِّ ﷺ بين احتمالين

عُبِّرَ في قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا﴾ بحرف الشرط الجازم ﴿إِن﴾، وهو يرد عمومًا في المعاني المحتملة الوقوع والمشكوك في حصولها والموهومة والنادرة والمستحيلة وسائر الافتراضات الأخرى[1]، فلمّا كان سياق الآية تخييرَ أزواج النَّبيِّ صلّى الله ﷺ بين احتمالين؛ ناسب استعمال ﴿إِن﴾ دون (إذا) المستعملة في الأمور المتحقِّقة.

دلالةُ التَّعبير بقوله: ﴿كُنتُنَّ﴾:

حبُّ الدنيا وزينتها وشهواتها راسخ في قلوب الناس

استُعمِل في قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا﴾ الفعلُ ﴿كُنتُنَّ﴾؛ للدِّلالة على رسوخ الصفة في الموصوف، بمعنى أنَّ النَّبيَّ ﷺ يقول لأزواجه: إن كانت إرادة الدُّنيا وزينتها من أوصافهنَّ وصفًا راسخًا، فتعالين أمتِّعكنَّ، وأسرِّحكنَّ سراحًا جميلًا، وهذا على سبيل الفرض والاحتمال وإلّا فقد اخترن ﷺ الله ورسوله[2].

دلالةُ حذفِ المضاف في الآية:

دلالةُ المذكور على المحذوف

تعدّى الفعلُ ﴿تُرِدۡنَ﴾ في قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا﴾ إلى اسم ذات الحياة الدُّنيا، والمقصود: إن كنتن تؤثرْن ما في الحياة من الترف على الاشتغال بالطاعات والزهد، فالكلام على

(1) فاضل السامرائي، معاني النحو: 4/ 69.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 336.

حذف مضاف يقدر صالحًا للعموم؛ إذ لا دليل على إرادة شأن خاص من شؤون الدُّنيا، فالمعنى: إن كنتنَّ تردن الانغماس في شؤون الدُّنيا، وقد دلَّت على هذا مقابلته بقوله: ﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾[1].

سرُّ وصف الحياة بـ﴿ٱلدُّنْيَا﴾:

تحقيرُ الدُّنيا وتهوين أمرها

الدُّنيا وصف مؤنَّث على وزن (فُعلى)، مِن: دنا، بمعنى: قرب، أو دنأ، بمعنى: حقر، وعليه فالدُّنيا بمعنى الدّانية القريبة السريعة المرور، أو بمعنى الدنيئة الحقيرة، وكلاهما وصفٌ موجودٌ مقصود، فسرعان ما تتبدَّل الأيّام، وتتحوَّل الأحوال، ولا تبقى الدُّنيا على وتيرة واحدة، ثم هي في نفسها وبالمقارنة إلى غيرها حقيرة دنيئة.

نكتةُ عطف قوله: ﴿وَزِينَتَهَا﴾:

عطفُ الخاصِّ على العامِّ للاهتمام بشأنه والتنويه به

عُطِفت الزينة على الحياة الدُّنيا في قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾، من باب عطف الخاصِّ على العامِّ؛ اهتمامًا بشأنه وتنويهًا به، ولعلَّ في ذكره إيماءً إلى أنَّ بعض أزواجه سألنه خصوصًا حليًّا وحُلَلًا وغيرها ممّا تتزيَّن به النِّساء، كما ورد في بعض الآثار في سبب نزولها.

سرُّ التَّعبير بالزّينة في الآية:

الحليُّ والحُلَل والإماء والخَوَل من زخرف الدُّنيا ورفاهيتها

عُبِّرَ في قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾، بلفظ ﴿وَزِينَتَهَا﴾، والمقصود به زخارفُ الدُّنيا ونضارتها ورفاهيَّتها، وقد ورد في بعض الآثار ذِكرُ بعض أنواع الزينة المرغوبة لهنَّ، فمنها أنَّهنَّ قلن: يا رسول الله، بنات كسرى وقيصر في الحليِّ والحُلَلِ والإماء والخَوَلِ، ونحن على ما تراه من الفاقة والضيق، ومنها أنَّ امرأة من أزواجه سألته أن يصوغ لها حلقة من ذهب، فصاغ لها حلقة من فضَّة وطلاها بالذهب - وقيل: بالزعفران -

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 315.

فأبت إلّا أن تكون من ذهب، وغيرها من الآثار التي تُذكر بعض أفراد الزّينة[1].

بلاغةُ إضافة الزينة إلى ضمير الدُّنيا:

الزينة ليست من الدُّنيا

إنَّما عطف الزينة على الدُّنيا وإضافتها إلى ضميرها في قوله: ﴿إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾؛ للدِّلالة على أنَّ الدُّنيا إنَّما وجدت؛ لتكون طريقًا موصلة إلى الآخرة بعمارتها، وعبادة الله فيها، وليست الزّينة منها، بل هي شيءٌ زائد عنها، ولزينة كلِّ شيء مواضع وأوقات تحسن فيها دون غيرها، ويكثر في القرآن الكريم هذا الأسلوب، من عطف الزينة على الدُّنيا وإضافة الزينة إلى ضميرها: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ [هود: 15].

دلالةُ الفاء في قوله: ﴿فَتَعَالَيْنَ﴾:

تعليقُ مضمون الجواب على حصول مضمون الشَّرط

عُطِفَ قولُهُ تعالى: ﴿فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ﴾ على ما قبله، وهو قوله تعالى: ﴿إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾، بحرف الفاء ربطًا للجزاء بالشَّرط دليلًا على أنَّه سببه، والغرض البلاغيُّ منه إنَّما هو تعليق مضمون الجواب على حصول مضمون الشَّرط، فيحصل الثّاني بحصول الأوَّل، والمقصود: إن كنتنَّ ممَّن يحببن لذّات الدنيا ونعيمها، والتمتُّع بزخرفها؛ فأقبلن عليَّ أعطِكن ما أوجب الله على الرِّجال للنِّساء من المتعة عند فراقهم إيّاهن بالطَّلاق[2].

بلاغةُ الكناية في قوله: ﴿فَتَعَالَيْنَ﴾:

انتقالُ المعنى من التَّعالي في المكان إلى المجيء والإقبال

أوثِرَ في قوله تعالى: ﴿فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ﴾ استعمالُ اسم الفعل ﴿فَتَعَالَيْنَ﴾، وأصل (تعالَ): أن يقوله مَن في المكان المرتفع لمن في المكان المستوطِئ، ثم كَثُرَ حتى استوت في استعماله الأمكنة، ومعنى ﴿فَتَعَالَيْنَ﴾: أقبلن بإرادتكن واختياركن لأحد أمرين، ولم يرد نهوضهنَّ إليه بأنفسهنَّ،

(1) القرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 14/ 162، وأبو حيان، البحر المحيط: 8/ 471.
(2) الهرريّ، حدائق الروح والريحان: 22/ 486.

كما تقول: أقبلَ يخاصمني، وذهب يكلِّمني، وقام يهدِّدني، فهو هنا كناية عن الإخبار والإرادة بعلاقة أنَّ المخبر يدنو إلى من يخبره[1].

دلالةُ التَّعبير بالتَّمتيع في الآية:

متعةُ المطلَّقةِ تطييبٌ لخاطرها وتعويض عمّا لحقها من ضرر الطلاق

استُعمِل في قوله تعالى: ﴿فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ﴾ التَّعبيرُ بالفعل: ﴿أُمَتِّعْكُنَّ﴾، بمعنى: أعطِكنَّ متعة الطلاق، والمَتاعُ والمُتْعَةُ: ما يُعطى المطلَّقة؛ لتنتفع به مدَّة عدَّتها يكون متاعًا لها؛ تطييبًا لخاطرها، وتعويضًا عمّا لحقها من ضرر بالطَّلاق، والمتعة: درعٌ وخمار وملحفة على حسب السَّعة والإقتار، إلّا أن يكون نصف مهرها أقلَّ من ذلك، فيجب لها الأقل منهما، ولا تنقص من خمسة دراهم؛ لأنَّ أقلَّ المهر عشرة دراهم، فلا ينقص من نصفها[2].

وجهُ تسمية نفقة المطلَّقة متعة:

محاولةُ نسيان المرأة ألم الطَّلاق بلذَّة المتعة

لمّا كان في الطلاق آلامٌ وشدائدُ، وكان وقعه على المرأة قاسيًا سُمّيت النَّفقة التي تحصل عليها في العدَّة متعةً؛ حتى ينسيها بهذا اللفظ وما يحويه من لذَّة ظاهرة وباطنة، وبريق في المال والثياب، ما يلحقها بسبب ذلك من ألم.

وجهُ عطفِ ﴿وَأُسَرِّحْكُنَّ﴾:

عطفُ التَّطليق على التَّمتيع

عُطِفَ في قوله تعالى: ﴿أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ﴾ الفعلُ ﴿وَأُسَرِّحْكُنَّ﴾ على قوله: ﴿أُمَتِّعْكُنَّ﴾ بحرف الواو الدالِّ على الجمع والاقتران، والتَّسريح في الأصل مطلق الإرسال، ثمَّ كُنّيَ به عن الطَّلاق، أي: أطلِّقكن، وأعطِكنَّ متعة الطَّلاق، والسَّراح: الطَّلاق، وهو من أسمائه وصيغه، قال تعالى: ﴿فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ﴾ [البقرة: 231][3].

(1) الزمخشريّ، الكشّاف: 3/ 535، والخطيب الشربيني، السراج المنير: 3/ 239.
(2) الزمخشريّ، الكشّاف: 3/ 535، والرّاغب، المفردات: (متع).
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 316، والآلوسي، روح المعاني: 11/ 177.

دلالةُ تقديم التَّمتيع على التَّسريح:

الإحسان إلى الأزواج من الكرم وحسن الخُلق

تقدَّم في قوله تعالى: ﴿أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ﴾ التمتيعُ على التَّسريح، وكان الظّاهر تأخيرَ التَّمتيع عن التسريح لما أنَّه مسبَّبٌ عنه، إلّا أنَّه قُدِّم عليه من باب الكرم وحسن الخُلق، وإيناسًا لهنَّ وقطعًا لمعاذيرهن من أوَّل الأمر، ولأنَّه مناسب لما قبله من الدُّنيا.

وجوَّز بعضهم أن يكون في محلِّه دون تقديم؛ بناءً على أنَّ إرادة الدُّنيا بمنزلة الطلاق، والسَّراح: الإخراج من البيوت، فكأنَّه قيل: إن أردتنَّ الدُّنيا، وطلَّقتنَّ؛ فتعالين؛ أعطِكنَّ المتعة، وأخرجْكنَّ من البيوت[1].

بلاغةُ التَّعبيرِ بالمفعول المطلق في السَّراح:

جمالُ الخُلق لا يظهر إلّا في الشدائد ومنه الطلاق

المتعةُ أو المتاع أمر مادّيٌّ لا يتنازل النّاس عنه عادة، والسَّراح أو الطَّلاق أمر معنويٌّ، وهو محلُّ الأذى، لا سيَّما من الزَّوج، الذي يأخذ قراره بالطَّلاق بالإرادة المنفردة، فيلحق المرأة بذلك ألمٌ وضرر، وهنا يظهر الخُلق الكريم من الرَّجل الذي يدلُّ على طيب منبتِهِ، وأصالة معدنِهِ.

دلالةُ التَّنكير في قوله: ﴿سَرَاحًا﴾:

تأكيد إحسان النَّبيِّ الكريم إلى أزواجه

جاء في قَوْلِهِ تَعالى: ﴿وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ لفظُ ﴿سَرَاحًا﴾ نكرةً، والنكتةُ في تنكيره: أنَّه يدلُّ على الإبهام، والإبهام له علاقة مباشرة بالتَّعظيم والتَّفخيم، فإنَّ مَن أراد أن يعظِّم شيئًا أبهمه بحيث لا يُكْتَنَهُ وصفُهُ، وتذهب النَّفس فيه كلَّ مذهب، فالتَّنكير هنا لتأكيد إحسانه ﷺ في تسريح من اختارت الحياة الدُّنيا.

سرُّ وصف السَّراح بالجميل:

جمالُ المفارقة بأن ليس فيها ضرر ولا أذًى

وُصِفَ السَّراحُ في قَوْلِهِ تَعالى: ﴿وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ بأنَّه جميلٌ، والجميل: الحسنُ حُسنًا بمعنى القبول عند النَّفس، وهو

(1) البيضاويّ، أنوار التنزيل: 4/ 230، والآلوسي، روح المعاني: 11/ 177.

الطلاق دون غضب ولا كراهية؛ لأنَّه طلاق مراعًى فيه اجتناب تكليف الزوجة ما يَشُقُّ عليها، ليس فيه مضارة، ولا نوع حقد ولا مقاهرة، أو هو طلاقٌ ذو حُسنٍ كثيرٍ بأن يكون سُنّيًا لا ضرار فيه، كما في الطلاق البدعي المعروف عند الفقهاء، ويحتمل أيضًا أن يكون ما دون بتِّ الطَّلاق، ويحتمل أن يكون في بقاء جميل المعتقَد وحُسن العشرة وجميل الثَّناء وإن كان الطلاق باتًّا[1].

سرُّ التَّعبير بصيغة فعيل في وصف السَّراح:

كثرةُ المعاني والوصول بالصِّفة إلى ذروة سنامها

عُبِّرَ عن الجمال بصيغة (فعيل)، دون غيرها من الصّيغ؛ للدِّلالة على المبالغة في وصف الجمال من جهة باعتبار أنَّ (فعيل) صيغة مبالغة، ولحمل المطلِّق على أن يكون جميلًا في أخلاقه مع زوجته التي طلَّقها من جهة أخرى، باعتبار أنَّها صفة مشبَّهة باسم الفاعل؛ إذ فعلها مضموم العين في الماضي والمضارع.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الزوج والمرأة:

عمومُ الزَّوج في الذَّكر والأنثى، وخصوص المرأة بالأنثى

يظهر الفرق بين اللَّفظين في علاقة العموم والخصوص، فلفظ الزوج عامٌّ في الذكر والأنثى، وتختصُّ المرأة بالأنثى فقط من بني آدم، وذلك لأنَّ أصل جذر (زوج) تدور اشتقاقاته على مقارنة شيء لشيء، ومن ذلك الزَّوج: زوج المرأة، والمرأة زوج بعلها، وهو الفصيح، قال الله جلَّ ثناؤه: ﴿ٱسۡكُنۡ أَنتَ وَزَوۡجُكَ ٱلۡجَنَّةَ﴾ [البقرة: 35][2]، فالزَّوج كلُّ شيء ثانٍ مع شيء آخر، بينهما تقارن في حال ما، وسُمّيت المرأة القرينة للرَّجل بنكاح: زوجًا؛ لأنَّها اقترنت به، وصيَّرته ثانيًا، ويُسمّى الرَّجل زوجًا لها لذلك بلا فرقٍ، فمِن ثَمَّ لا

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 15/ 337، وابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 381، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 316.

(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والأزهريّ، تهذيب اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (زوج).

يقال للمرأة: زوجة بهاء التأنيث؛ لأنَّه اسمٌ، وليس بوصف[1]، فآثر النَّظم التَّعبير بالأزواج في الآية؛ لأنَّه اسم لذات مُنْضَمَّة إلى غيرها على وجه الملازمة.

الزّينة والزّخرف:

عـمـومُ الـزّيـنـة وخـصـوص الزخرف

يتَّفق اللَّفظان في الدِّلالة على تحسين الشَّيء، ويختلفان في المعنى الدِّلالي لكلٍّ منها، فالزّينة عامَّة في كلِّ ما يُتَزيَّن به، محمودًا كان أو مذمومًا، في حين أنَّ الزُّخرف في أصله هو الذَّهب، ثمَّ أُطلق على كلِّ ما يُتزيَّن به؛ لأنَّ الذَّهب هو الأصل في الزّينة باعتباره أغلى المعادن قيمةً، ثمَّ شبَّه كلَّ مموَّه مزوَّر به، ولهذا يُطلق على القول الباطل، كقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَا لِكُلِّ نَبِيّٖ عَدُوّٗا شَيَٰطِينَ ٱلۡإِنسِ وَٱلۡجِنِّ يُوحِي بَعۡضُهُمۡ إِلَىٰ بَعۡضٖ زُخۡرُفَ ٱلۡقَوۡلِ غُرُورٗاۚ﴾ [الأنعام: 112].

السَّراح والطَّلاق:

الـسَّـراح من تَسريحِ الإبل، والـطَّـلاق من إطلاق الإبل

يتَّفق اللفظان في الدِّلالة على إخراج المرأة من عصمة الزوج، ويختلفان في ملمح الاشتقاق، فالسَّراح مستعار من تَسْريحِ الإبل، وأمّا الطَّلاق؛ فهو مستعار أيضًا من إطلاق الإبل[2]، وقد ورد القرآن بكلٍّ منهما في الدِّلالة على فكِّ العصمة الزوجية، قال تعالى: ﴿أَوۡ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖۚ﴾ [البقرة: 231]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ﴾ [الطلاق: 1]، وغالبًا ما يُستعمل لفظ الطلاق في الرجعي، ولفظ السَّراح في البائن.

(1) الرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 1/ 428.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 21/ 316، والآلوسي، روح المعاني: 11/ 177.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والأربعون،
سورة الأحزاب من الآية 26 إلى سورة سَبإ الآية 12
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2025م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2025م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والأربعون، سورة الأحزاب من الآية 26 إلى سورة سَبإ الآية 12
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 45 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-98-3
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 45 : المجلد الخامس والأربعون، سورة الأحزاب من الآية 26 إلى سورة سَبإ الآية 12.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-98-3
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9766833 بتاريخ 2025/01/14م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»